من أسرار التنزيل
في بلاغة آيات الجليل
تفسير القرآن الكريم وعلومه
إشراقات من سورة (البلد)

الدكتور

جاسم عشوي شريع محمد الضفيري

الإمام والخطيب في قطاع المساجد

ومدير مساعد في إدارة الدراسات الإسلامية

بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

تفسير القرآن الكريم وعلومه إشراقات من سورة (البلد)

جاسم عشوي شريع محمد الضفيري

قطـــاع المســـاجد، إدارة الدراســـات الإســـلامية، وزارة الأوقـــاف والشـــؤون الإسلامية، الكويت.

البريد الالكترونى: mm.mostafa@yahoo.com

الملخص:

يهدف البحث إلى الاطلاع على مكامن سورة البلد , والدلالات والإضاءات, والفوائد والفرائد, واللطائف الجلية والخفيةلها، وما فيها من البديع والبيان والمعاني الجليلة من خلال المنهج التحليلي وترك الحكم للقارئ مما يعين على ايجاد أفق أوسع للقارئ الذي يريد نيل علوم القرآن بشكل جميل, بعيد عن التطويل والملل, وقريب من التوسط وعدم الخلل.لذا فإنّ دراسة جانب من جوانبه أمر في غاية الأهمية ومنها سورة البلد ، لتوصل الباحث إلى الإحاطة بالجزء المدروس، وتطلعه على الأسرار الكامنة وراءه. من : علوم, وتفسير , وإشارات, ومعنى، وأسلوب، ودلالة، وتركيب، وبلاغة.

وكان من أهم نتائج البحث :

اشتملت سورة البلد على العديد من الدلالات، والتراكيب، فضلا عن اللطائف البلاغية.

الكلمات المفتاحية: إشراقات ، سورة البلد، الدلالة، البلاغة القرآنية.

The Interpretation of the Ever-Glorious Quran and its Sciences

Surat Al-Balad's Radiance

Jassim Ashwi Shari' Mohammed Al-Dfairi
Imam and preacher in the mosque sector, and assistant director in the Department of Islamic Studies, the Ministry of Awqaf and Islamic Affairs in Kuwait
Email: mm.mostafa@yahoo.com

Abstract:
The present study aims at revealing the contents, indications, illuminations, benefits of Surat Al-Balad. It explores the unique, clear and hidden secrets of Surat Al-Balad, and its wonderful, evident, great and beautiful meanings. The study adopts the analytical approach and leaves the judgement to the reader, which helps to find a broader horizon for the reader who wants to obtain beautifully the sciences of the Qur'an, far from prolongation and boredomand close to mediation and without defects.Therefore, studying an aspect is very important, including Surat Al-Balad, so that the researcher comes to know the studied part, and the secrets behind it including: sciences, interpretation, signs, meaning, style, significance, structure, and rhetoric. The most important conclusion the study arrived at is that Surat Al-Balad involves significance, structures, and rhetorical illuminations.

Keywords:
Enlightenment - Surat Al-Balad- significance – Quranic rhetoric

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، اللهم صل على الرسول الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

قال تعالى {إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ}(١).

فإن القرآن الكريم كتاب هداية, ورسالة سماوية معجزة, ودستور الإسلام الخالد، وفيه أصول المعارف العامة، وهو الأصل الأول من أصول التشريع الإسلامي.

لذا فإنّ دراسة جانب من جوانبه أمر في غاية الأهمية ومنها سورة البلد ، لتوصل الباحث إلى الإحاطة بالجزء المدروس، وتطلعه على الأسرار الكامنة وراءه. من : علوم, وتفسير, وإشارات, ومعنى، وأسلوب، ودلالة، وتركيب، وبلاغة.

هذا كله وغير ذلك دفعني للغوص في بحار علوم القرآن وتفسيره, كي أكون الصياد المستخرج لما أجده من اللؤلؤ والمرجان والياقوت القرآني .

وحين تتدبر القرآن الكريم, ترى هذه السورة, قصيرة المباني عظيمة المعاني, تحشد الحقائق الكبيرة والمعاني البديعة, واللّمسات الإنسانية الشفافة, حشدا يصعب أن يجتمع في هذا الحيز الصغير في غير القرآن الكريم، وأسلوبه الفريد في التوقيع على أوتار القلب البشري بمثل هذه اللمسات السريعة العميقة تبدأ السورة بالتلويح بقسم وزجر، وتنتهي بوعيد وزجر.

---

١) سورة الإسراء الآية ٩ .

أهمية البحث :

الاطلاع على مكامن هذه السورة, والدلالات والإضاءات, والفوائد والفرائد, واللطائف الجلية والخفية. لسورة البلد وما فيها من البديع والبيان والمعاني الجليلة والجميلة .

أسباب الاختيار :

١- التنوع في الظواهر والدلالات والتراكيب والتحليلات والظواهر واللطائف في هذه السورة الكريمة.

٢- الوقوف على المعاني العظيمة والجليلة وصياغة تفسيرها بشكل شامل .

٣- جمع بعض اقوال العلماء والمفسرين والنظر في تنوع واختلاف توجههم في بعض التفسيرات

٤- هذه السورة تشير إلى إضاءات في علوم القرآن الكريم وتفسيره, وذلك نظرا للبلاغة العالية فيها .

٥- إن القارئ بحاجة إلى تسهيل الغوص في معانيها إضافة إلى عرض واستقراء وتحليل ، لتكشف النقاب عن اللؤلؤ والمرجان الكامن فيها .

أهداف البحث :

١- الإشارة إلى أبعاد هذه السورة الكريم في أسلوب أدبي فريد.

٢- بيان الرأي لبعض الباحثين والمتعمقين في ترجيح بعض الروايات على بعض .

٣- تذوق جمالية القرآن الكريم وتحليل تراكيبه اللغوية وفق أقوال علماء التفسير وعلوم القرآن الكريم.

٤- جمع أقوال المفسرين وصهرها في بوتقة واحدة . وتسليط الضوء على نفائسها .

منهج البحث :

العمل من خلال المنهج التحليلي وترك الحكم للقارئ مما يعين على ايجاد أفق أوسع للقارئ الذي يريد نيل علوم القرآن بشكل جميل, بعيد عن التطويل والملل, وقريب من التوسط وعدم الخلل .

فرضية البحث مفادها :

اختلاف الآراء وتعددها في المسألة الواحدة, لا بد لها من جمع تهذيب وتشذيب وتشخيص.

حدود البحث :

إن حدود البحث هي سورة البلد ، ولما كان البحث قد ركز على : الظواهر البارزة – التي تحتاج إلى حسم وإعطاء رأي فأنماط الظواهر أربعة ، هي : الدلالة التركيب ، القراءة ، والمنهج .

مجال الإفادة منه(التحليل ، التركيب اللغوي ، الأساليب النحوية علوم القرآن ، التفسير ، نقد التفسير ، مناهج التفسير ، والقراءات) .

الدراسات السابقة :

كل ما ذكر عنها هو آراء متناثرة في متون الكتب والمراجع المتنوعة . لكن وجدت بعض الدراسات التي تناولت هذه السورة الكريمة بالتحليل منها :

١- ظواهر تحليلية في سورة البلد ، عبير جبار كاظم الملا ، مجلد الجامعة الإسلامية ، المجلد الثاني ٢٠١٥م

٢- سورة البلد أسرار بيانية ودلالات نفسية وإجتماعية ،أ.د/ عماد الراعوش كلية أصول الدين جامعة محمد بن سعود السعودية.

وهذه الدراسات السابقة مع تقديري لجهود أصحابها لاحظت أنها تناولت جانب من السورة الكريمة

بخلاف هذه الدراسة التي سوف تتناولها بشكل أشمل .

خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة مطالب وخاتمة

أما المقدمة فتشمل أهمية البحث، أسباب الاختيار ،أهداف البحث ،منهج البحث، حدود البحث ، الدراسات السابقة .

أما المطلب الأول: بعنوان إبتلاء الإنسان بالسراء والضراء

المطلب الثاني: وعنوانه : أعمال البر والخير تنجي الإنسان من الشدائد والأهوال

المطلب الثالث: وعنوانه : الجزاء من جنس العمل.

وأما الخاتمة وتشمل أهم النتائج

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ (٢٠) ﴾ .[1]

١) سورة البلد مكية وآياتها عشرون

تمهيد :

ينبغي على الباحث أن يقف وقفه يسيره ليبين من خلالها معالم هذه السورة الكريمة يتعرف على أسمها ومناسبتها لما قبلها ، وإضافة إلى أهم مقاصدها وأهدافها.

فأقول وبالله التوفيق :

أسم السورة : سميت هذه السورة في ترجمتها عن صحيح البخاري "سورة لا أقسم" وسميت في المصاحف وكتب التفسير "سورة البلد" وهو إما على حكاية اللفظ الواقع في أولها وإما لإرادة البلد المعروف وهو مكة[١] .

والمشهور عند جمهور المسلمين وأهل التفسير أسمها المثبت في المصحف "سورة البلد"[٢] .

علاقتها بما قبلها وما بعدها:

وجه إتصال سورة البلد بسورة الفجر السابقة عليها في الترتيب المصحفي هو أنه سبحاته وتعالى لم ذم بالفجر من أحب المال وأكل التراث ولم يحض على طعام المسكين ، ذكر في هذه السورة الخصال التي تطلب من صاحب المال من فك الرقبة والإطعام في يوم ذي مسغبه[٣] .

---

١)فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني ط دار الحديث القاهرة ، ١٤١٩هـ ج٨ص٨٦٥

٢)فضائل القرآن لأبن الضريس دار الفكر دمشق ١٤٠٨هـ ص٣٣

٣) تناسق الدرر في يتناسب السور للسيوطي ، ط عالم الكتب بيروت ، ١٤٠٨هـ ص١٣٦

وأما صلتها لما بعدها (سورة الشمس) فإنه سبحانه لما ختمها بذكر أصحاب الميمنو وأصحاب المشئمة ، أراد الفريقين في سورة الشمس فقوله في الشمس :{ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا }[1]هم أصحاب الميمنة في سورة البلد وقوله { وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا }[2]في الشمس هم أصحاب المشئمة في سورة البلد ، فكانت هذه السورة تفصيل تلك السورة والمقصود الترغيب في الطاعات والتحزير من المعاصي[3] .

أهم أهدافها ومقاصدها:

هذه السورة مكية على رأي الجمهور و أهدافها فهي نفس أهداف السورة المكية وأهمها :

١-تثبيت العقيدة والإيمان.

٢-التركيز على الإيمان بالحساب والجزاء .

٣-التمييز بين الأبرار والفجار .[4] .

مقاصدها :

---

١) سورة الشمس الآية ٩

٢) سورة الشمس الآية ١٠

٣) تناسق الدرر في يتناسب السور للسيوطي ، ط عالم الكتب بيروت ، ١٤٠٨هـ ص١٣٦

٤) صفوة التفاسير ،د محمد علي الصابوني ، ط دار الصابوني ، القاهرة ، ط٩ د.ت ج٣ ص ٥٦٠

يمكن تلخيص هذه المقاصد في النقاط التالية :

١- القسم بمكة وبالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، بياناً بفضله.

٢- بيان ما ابتلي به الإنسان في الدنيا من النصب والتعب .

٣- اغترار الإنساب بقوته .

٤- تعداد أنعم الله على الإنسان كالعين واللسان والعقل والفكر .

٥- بيان سبل النجاة الموصلة للسعادة .

٦- الجزاء من جنس العمل [١] .

---

١) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن ، د/عبد الله شحاته ط الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٩٨م ص١٧١

المطلب الأول

إبتلاء الإنسان بالسراء والضراء

وتضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البديع والبيان افتتحت السورة الكريمة بالقسم تشويقاً لما يرد بعده، وتأكيداً للمقسم عليه وإشعاره الزجر والعظمة وزيادة الهيبة وزيادة (لا) لتأكيد الكلام ، وهو مستفيض في كلام العرب (لا أقسم بهذا البلد) أي أقسم بهذا البلد ،وفائدتها تأكيد القسم كقولك : لا والله ما ذاك . كما تقول أي والله .

تقول الأمثال العربية : يا كَثِيرَ القَبَائِح ؛ غَداً تَنطِقُ الجَوَارِح. [1]

بيان منصب رسول الله : أنه تعالى لما أقسم بهذا البلد دل ذلك على غاية فضل هذا البلد، ثم قال: {وَأَنتَ حِلٌّ بهذا البلد} أي وأنت من حلّ هذه البلدة المعظمة المكرمة، وأهل هذا البلد يعرفون أصلك ونسبك وطهارتك وبراءتك طول عمرك من الأفعال القبيحة، وهذا هو المراد بقوله تعالى: {هُوَ الذي بَعَثَ فِي الأميين رَسُولاً مّنْهُمْ} [٢]وقال: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مّنْ أَنفُسِكُمْ} [٣] وقوله: {فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مّن قَبْلِهِ}[٤], فيكون الغرض شرح منصب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكونه من هذا البلد . .

---

1) التبصرة لأبن الجوزي ٢/٦٥

٢)سورةالجمعة الآية ٢

٣)سورة التوبةالآية ١٢٨

٤) سورة يونس الآية ١٦

والفائدة هنا : من الإشارة بلفظ (هذا) مع بيانه بالبلد، في قوله (هذا البلد) إشارة بلفظ (هذا) حاضر في أذهان السامعين ، لأن مكة بعضهم كان يعيش فيها ، وبعضهم كان يعرفها معرفة لا خفاء منها ، وشبيه بذلك قوله تعالى: (قل إني أُمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها وله كلُّ شيء) [1].

وفائدة الإتيان باسم الإشارة هذا : تمييز المقسم به أكمل تمييز لقصد التنويه به .

جناس الاشتقاق (ووالد وما ولد) فكل من الوالد والولد مشتق من الولادة.

جيء باسم الموصول (ما) في قوله : (وما ولد) دون (من) مع أنها أكثر استعمالاً في العاقل الذي هو مراد هنا .

أقسم بوالد وما ولد، ليلفت نظرنا إلى رفعة قدر هذا الطور من أطوار الوجود – وهو طور التوالد – وإلى ما فيه من بالغ الحكمة وإتقان الصنع، وإلى ما يعانيه الوالد والمولود في إبداء النشء وتكميله الناشئ، وإبلاغه حده من النمو المقدر له .

١)سورة النمل الآية ٩١

لطيفة :

كانت بشرى فتح مكة قبل سنوات طويلة, فقد بشر الله تبارك وتعالى نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم بفتح مكة وما يقتضيه من{ الحل ساعة } ثم فتح عليه مكة وأحلّها له لاحقا، وما فتحت على أحد قبله ولا أحلّت له فأحلّ ما شاء وحرّم ما شاء. قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة. ومقيس بن صبابة وغيرهما، وحرّم دار أبي سفيان، ثم قال: «إنّ الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة، لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدي، ولم تحل لي إلاّ ساعة من نهار، فلا يعضد شجرها، ولا يختلي خلاها، ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلاّ لمنشد»(١).

واعترض بأن وعده فتح مكة تتميماً للتسلية والتنفيس عنه. فقال: وأنت حلّ بهذا البلد، يعني: وأنت حلّ به في المستقبل تصنع في الحرب ما تريد لفتحها لساعة فقط .

أقسم الله سبحانه بالبلد الحرام وما بعده على أن الإنسان خلق مغموراً في مكابدة المشاق والشدائد؛ واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله: {وَأَنتَ حِلٌّ بهذا البلد} يعني: ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم.

روي عن شرحبيل: يحرّمون أن يقتلوا بها صيداً ويعضدوا بها شجرة، ويستحلون إخراجك وقتلك وفيه تثبيت الرسول ﷺ ، وبعث على احتمال ما

---

١) صحيح البخاري كتاب الجنائز باب الإذخر والحشيش في القبر حديث رقم ١٢٩٦

كان يكابد من أهل مكة، وتعجيب من حالهم في عداوته، أو سلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالقسم ببلده، على أنّ الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد؛ فإن قيل: أين نظير قوله: {وَأَنتَ حِلٌّ} في معنى الاستقبال؟

قلت: قوله عزّ وجل: {إِنَّكَ مَيّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيّتُونَ}[1] ، ومثله واسع في كلام العباد، تقول لمن تعده الإكرام والحباء: أنت مكرم محبو، وهو في كلام الله أوسع؛ لأن الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة. وكفاك دليلاً قاطعاً على أنه للاستقبال، وأن تفسيره بالحال محال: أن السورة بالاتفاق مكية، وأين الهجرة عن وقت نزولها، فما بال الفتح؟.

لطيفة : ما المراد بوالد وما ولد؟

إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ولده، أقسم ببلده الذي هو مسقط رأسه وحرم أبيه إبراهيم ومنشأ أبيه إسماعيل، وبمن ولده وبه . فإن قلت: لم نكر؟ قلت: للإبهام المستقل بالمدح والتعجب. وقيل: هما آدم وولده. وقيل: كل والد وولد .

١) سورة الزمر الآية ٣٠

تفسير الآيات :

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ[١] (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢)وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥)) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧)يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (٦)أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠).

أجمع المفسرون

أن ذلك البلد هي مكة، واعلم أن فضل مكة معروف، فإن الله تعالى جعلها حرماً آمناً، فقال في المسجد الذي فيها { {وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً} [٢]وجعل ذلك المسجد قبلة لأهل المشرق والمغرب، فقال: {وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ}[٣] وشرف مقام إبراهيم بقوله: {واتخذوا مِن مَّقَامِ إبراهيم مُصَلًّى}[٤] وأمر الناس بحج ذلك البيت فقال: {وَللَّهِ عَلَى الناس حِجُّ البيت} [٥] وقال في البيت: {وَإِذْ جَعَلْنَا البيت مَثَابَةً لّلنَّاسِ وَأَمْناً}[٦] وقال: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لإبراهيم مَكَانَ البيت أَن لاَّ تُشْرِكْ بِى شَيْئاً} [٧]وقال: {وعلى كُلّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلّ فَجّ عَمِيقٍ}[٨] وحرم فيه الصيد، وجعل البيت المعمور

---

١) سورة البلد الآية ١

٢) سورة آل عمران الآية ٩٧

٣) سورة البقرة الآية ١٤٤

٤) سورة البقرة الآية ١٢٥

٥)سورة آل عمران الآية ٩٧

٦) سورة البقرة الآية ١٢٥

٧) سورة الحج الآية ٢٦

٨) سورة الحج الآية ٢٧

بإزائه، ودحيت الدنيا من تحته، فهذه الفضائل وأكثر منها لما اجتمعت في مكة لا جرم أقسم الله تعالى به[1]ا.

لطيفة : { وأنت حلّ } : من شرف مكة أن الرسول صلى الله عليه وسلم { وأنت حلّ } : على أن يكون المعنى, أقسم بهذا البلد الشريف، ومن شرفه أنك حلّ به.

لطيفة : { وأنت حلّ } : أن الرسول صلى الله عليه وسلم في حل مما يقترفه أهل هذا البلد من المآثم التي أنت متحرج و بريء منها .

{لا}زائدة {أُقْسِمُ بهذا البلد} مكة وقال بعضهم [2].

أما قوله: {وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ} يعني كل والد ومولود، وهذا مناسب، لأن حرمة الخلق كلهم داخلة في هذا الكلام
وفيه بيان لرفع شأن الإنسان . وهذا برهان أن الله تعالى كرم الإنسان . فالإسلام يحترم حقوق الإنسان ويوصي بالوالدين.

واعلم أن هذا معطوف على قوله : {لاَ أُقْسِمُ بهذا البلد} وقوله : {وَأَنتَ حِلٌّ بهذا البلد} معترض بين المعطوف والمعطوف عليه.

فوائد وفرائد : أقوال العلماء في دلالة (الوَالِد والوَلَد) :

تعددت آراء المفسرين في تحديد دلالة (الوالد والولد) ، في قوله تعالى : {وَوَالِدٍ وَمَا وَلَد } حتى وصلت – حسب تتبعنا – إلى تسعة آراء، هي :

---

١) مفاتيح الغيب ، فخر الرازي سورة البلد ج٣١ ص ١٨٠

2 تفسير الجلالين سورة البلد ، تفسير قوله تعالى لا أقسم بهذا البلد ،١/٥٩٤

١- الوالد : آدم ، والولد : وُلْدُهُ .

٢- الوالد : آدم ، والولد : ذريته جميعا .

٣- الوالد : آدم ، والولد : الصالحون من ذريته .

٤- الوالد : إبراهيم ، والولد : إسماعيل .

٥- الوالد : إبراهيم ، والولد : أولاده جميعا .

٦- الوالد : محمد ، والولد : وُلْدُهُ .

٧- الوالد : محمد ، والولد : أمته .

٨- الوالد : كل والد ، والولد : كل والد وكل مولود .

٩- الوالد : من يلد من الآباء ، والولد : من لا يلد منهم .

الرأي الراجح:

وقد ذكر شيخ المفسرين الطبري ، الرأي القائل بالعموم في كل والد ومولود، فقال : والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا :إن الله أقسم بكل والد وولده لأن الله عم كل والد وما ولده، وغير جائز أن يخص ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل ، ولا خبر بخصوص ذلك ولا برهان يجب التسليم له بخصوصه فهو على عمومه كما عمه [١].

التراكيب اللغوية :

١) جامع البيان في تأويل القرآن سورة البلد ج١٢ ص٥٨٧

١- لا + فعل القسم . قال تعالى : لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ[١] ؟

لا : الداخلة على فعل القسم _ أقسم _ فيها أربعة أقوال :

الرأي (الأول): لا : للتوكيد ؛ لأنها دخلت على فعل القسم (أقسم) . والمعنى : أقسم بهذا البلد، أي :

إن الله سبحانه وتعالى أراد أن يؤكد القسم .

الرأي (الثاني) : لا : نافية غير عاملة ؛ (جواب ورد على كلام سابق) وكأن المعنى : ليس كما تقولون ثم أقسم بعد ذلك ، لأن القرآن الكريم كالشيء الواحد والسورة الواحدة . وهو رأي الفراء :

أبي زكريا يحيى بن زياد الكوفي (ت/٢٠٧هـ) من مدرسة الكوفة النحوية .

الرأي (الثالث) : لا : بمعنى (ألا) .

الرأي (الرابع) : لا : نافية غير عاملة (زائدة في أول الكلام) ، وكأنه قال : أقسم بهذا البلد . وهو رأي النحويين – البصريين ، ووافقهم الكسائي : علي بن حمزة الكوفي (ت/١٨٩هـ) من الكوفيين – والمفسرين عامتهم .وهذا رأي فيه نظر ، فقد أنكره الفراء، واستدل الرماني على إنكاره بـ : أن (لا) لا تزاد في أول الكلام، واستدل المالقي على إنكاره بما يأتي : إن الزيادة تتناقض مع التقديم ؛ لأن ما بابه التأخير إنما يقدم لأجل العناية به والاعتماد عليه . وهو يتناقض مع الزيادة ؛ لما فيها من إرادة الزوال.

---

١) سورة البلد الآية ١

فإن [لا + فعل القسم] وردت فيه أربعة آراء ؛ بعضها فيه نظر ، إلا أن القدر المتيقن منه أن هذا الأسلوب في القرآن الكريم أفصح عن : أن الفعل فيه جاء مسندا إلى الله جل جلاله ، ولم يأت إلا في الأيمان الصادقة ؛ ومنه يفهم أنه لا يراد ف (حلف) ؛ لأن الأخير يستعمل في الصادقة وغيرها .

الرأي الراجح :

ذكر العلامة ابن عاشور صيغة لا أقسم صيغة قسم أدخل حرف النفي على فعل أقسم لقصد المبالغة في تحقيق حرمة المقسم به بحيث يوهم للسامع أن المتكلم يهم أن يقسم به ثم يترك القسم مخافة الحنث بالمقم به فيقول ، لا أقسم به ، أي لا أقسم بأعز منه عندي وذلك كناية على تأكيد القسم وفيه محسن بديعي من قبيل ما يسمى تأكيد المدح بما يشبه الذم[1] .

وقال بعضهم : {وَأَنتَ} يا محمد {حِلٌّ} حلال {بهذا البلد} بأن يحل لك فتقاتل فيه، وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح . فالجملة اعتراض بين المقسم به وما عطف عليه[2] .

لطيفة : لما أقسم بالمساكن أقسم بعدها بالساكن : بالديار تشرف بإن كان أهلها صالحون. فكيف إن سكنها أهلها الأنبياء والمرسلون .

قال ابن كثير في تفسيره : {وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ} الوالد: الذي يلد، وما ولد: العاقر الذي لا يولد له.

---

١ التحرير والتنوير لابن عاشور ، ج١٤ ص٣٣٨

٢ تفسير الجلالين ٥٩٤/١

وقال أبو عمران الجوني: هو إبراهيم وذريته. وقيل غير ذلك : واختار ابن جرير أنه عام في كل والد وولده. وهو محتمل أيضا[1] .

الآية:{لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي كَبَدٍ} [2].

قال العلماء في تفسير الكبد وجوه :

أحدها : إن الكبد أصله من قولك كبد الرجل كبداً فهو كبد إذا وجعت كبده وانتفخت، فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة، ومنه اشتقت المكابدة وأصله كبده إذا أصاب كبده والكبد شدة الأمر ومنه تكبد اللبن إذا غلظ واشتد، ومنه الكبد لأنه دم يغلظ ويشتد .

القول الأول : جعل اسم الكبد موضوعاً للكبد، ثم اشتقت منه الشدة. وجعل اللفظ موضوعاً للشدة والغلظة، ثم اشتق منه اسم العضو . وعليه يحتمل أن يكون المراد شدائد الدنيا فقط . أو شدائد الآخرة أيضا . بمعنى خلقناه أطواراً كلها شدة ومشقة، تارة في بطن الأم، ثم زمان الإرضاع، ثم إذا بلغ ففي الكد في تحصيل المعاش، ثم بعد ذلك الموت ثم الآخرة، فالموت وسؤال الملك وظلمة القبر، ثم البعث والعرض على الله, إلى أن يستقر به القرار إما في الجنة وإما في النار .

الثاني: الكبد في الدين فقد يكابد الشكر على السراء، والصبر على الضراء، ويكابد المحن في أداء العبادات . فالكبد هو الاستواء والاستقامة . وهنا

---

١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، مكتبة التراث الإسلامي ، سوريا حلب ، ١٤٠٠هـ ٤٠٣/٨.

٢) سورة البلد الآية ٤

يفسر الكبد بالاستواء. وهو الكبد في الدين، قال الحسن: يكابد الشكر على السراء، والصبر على الضراء، ويكابد المحن في أداء العبادات .

والحسنات والسيئات فلابد بعد هذه الدار من دار أخرى، لتكون دار السعادة واللّذات والكرامة الخالدة .

قال الكلبي: نزلت هذه الآية في رجل من بني جمح يكنى أبا الأشد، وكان يجعل تحت قدميه الأديم العكاظي، فيجتذبونه من تحت قدميه فيتمزق الأديم ولم تزل قدماه .

لطيفة : حرف { في واللام }

حرف { في واللام } متقاربان، تقول: إنما أنت للعناء والنصب، وإنما أنت في العناء والنصب، وفيه وجه آخر وهو أن قوله : {فِى كَبَدٍ} يدل على أن الكبد قد أحاط به إحاطة الظرف بالمظروف، وفيه إشارة إلى ما ذكرنا أنه ليس في الدنيا إلا الكد والمحنة .

لطيفة : ليس للإنسان، إلا " ألم أو خلاص عن ألم " وانتقال إلى آخر " .

فما يتخيله الناس من اللذة في الراحة فما هي إلا لخلاصه من الكبد والتعب . لأن الكبد شدة الخلق والقوة، وذاك يظن أنه لذة فهو خلاص عن الألم، بمعنى إن ما يتخيل الناس من اللذة عند الأكل فهو خلاص من ألم الجوع، وما يتخيل من اللذات عند اللبس فهو خلاص من ألم الحر والبرد،

فهذا معنى قوله: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي كَبَدٍ} [١] . وقد يكون المراد محمولاً على كل ما ذكرنا فهو الحق.

لقد خلقنا الإنسان في كبد : في مكابدة ومشقة، وجهد وكد، وكفاح وكدح .

قول آخر للعلماء : والكبد: أصله من قولك : كبد الرجل كبداً، فهو أكبد: إذا وجعت كبده وانتفخت، فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة، كما قيل: كبته بمعنى أهلكه. وأصله: كبده، إذا أصاب كبده . قال لبيد :

يَا عَيْنُ هَلاَّ بكيتِ أَرْبَدَ إذْ *** قُمْنَا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَبَدِ[٢]

أي: في شدة الأمر وصعوبة الخطب .

والضمير في {أَيَحْسَبُ} لبعض صناديد قريش الذي كان الرسول صلى الله عليه وسلم : يكابد منهم ما يكابد. والمعنى: أيظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين : أن لن تقوم قيامة، ولن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافأته بما هو عليه، ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم، وأنه يقول : {أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَداً}[٣] يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم، ويدعونها معالي ومفاخر {أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ}[٤] حين كان ينفق ما ينفق رئاء الناس وافتخاراً بينهم، يعني: أن الله كان يراه وكان

---

١)سورة البلد الآية ٤

٢) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص٣٣

٣)سورة البلد الآية ٦.

٤)سورة البلد الآية ٧.

عليه رقيباً. ويجوز أن يكون الضمير للإنسان. فهو حقيق بأن أعظمه بقسمي به {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي كَبَدٍ}

أي : في مرض : وهو مرض القلب وفساد الباطن، يريد : الذين علم الله منهم حين خلقهم أنهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات. وقيل : الذي يحسب أن لن يقدر عليه أحد: هو أبو الأشد، وكان قوياً يبسط له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول : من أزالني عنه فله كذا، فلا ينزع إلاّ قطعاً ويبقى موضع قدميه. وقيل : الوليد بن المغيرة {لبدا} قرئ بالضم والكسر : جمع لبدة ولبدة، وهو ما تلبد يريد الكثرة: وقرئ : {لبداً} بضمتين : جمع لبود . ولبدا : بالتشديد جمع لا بد[1].وهي قراءة شاذة،(ولبداً) بالتخفيف وجهان لأبي جعفر ، و(لبداً) بضماتين ابن أبي الزناد ومجاهد[2] .

وقرأ الحسن والجحدري أيضاً بضم اللام وتشديد الباء وهو جمع لابد كساجد وراكع ، وقرأ ابو رجاء بكسر اللام وتشديد الباء وهي غريبة جداً [3].

الآية {أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥)} [4]

والضمير في {أَيَحْسَبُ} لبعض صناديد قريش الذي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد.[1]

---

١)الكشاف للزمخشري ٦/٣٧٧ .

٢)مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لأبن خالويه مكتبة المتنبي القاهرة ، بدون ص ١٤٤

٣) الدر المصون في تفسير الكتاب المكنون للسمين الحلبي ط دار الكتب العلمية بيروت ط٣ ١٤٢٠هـ ج٦ ص٣٩٦ .

٤)سورة البلد الآية٧ .

أيحسب ذلك الإنسان الشديد أنه لشدته لا يقدر عليه أحد.

قال الزمخشري: الذي يحسب أن لن يقدر عليه أحد: هو أبو الأشد، وكان قوياً يبسط له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول: من أزالني عنه فله كذا، فلا ينزع إلاّ قطعاً ويبقى موضع قدميه. وقيل: الوليد بن المغيرة {لبدا} قرئ بالضم والكسر: جمع لبدة ولبدة، وهو ما تلبد يريد الكثرة .

يظن أنه في تلك الحالة لا يقدر عليه أحد؟ ثم اختلفوا فقال: بعضهم لن يقدر على بعثه ومجازاته فكأنه خطاب مع من أنكر البعث، وقال آخرون: المراد لن يقدر على تغيير أحواله ظناً منه أنه قوي على الأمور لا يدافع عن مراده، وقوله: {أَيَحْسَبُ} استفهام على سبيل الإنكار.

لطيفة :

الاستفهام الاستنكاري هنا بقوله : {أيحسب أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ} . وهو استفهام للتوبيخ والتأنيب على سفاهة ما يفعل ويقول . وجاءت أنْ مخففةٌ منْ أنَّ واسمُهَا الذي هُو ضميرُ الشأنِ محذوفٌ أيْ أيحسبُ أنَّه لنْ يقدرَ على قهره وسحقه ومسخه و الانتقامِ منهُ أحدٌ؟ . والجواب المضمر هنا : بلى هناك من يقدر عليه ألا وهو كل من يسلطه الله على أعداءه . فالله هو القاهر فوق عباده .

يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا[٢]

==

١)الكشاف الزمخشري ٦/٣٧٧ .

٢ سورة البلد (٦).

قال أبو عبيدة: لبد، فعل من التلبيد وهو المال الكثير بعضه على بعض، قال الزجاج: فعل للكثرة يقال رجل حطم إذا كان كثير الحطم، قال الفراء: واحدته لبدة ولبد جمع وجعله بعضهم واحداً، ونظيره قسم وحطم وهو في الوجهين جميعاً الكثير، قال الليث: مال لبد لا يخاف فناؤه من كثرته. وقد ذكرنا تفسير هذا الحرف عند قوله: {يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً}[1] والمعنى أن هذا الكافر يقول: أهلكت في عداوة محمد مالاً كثيراً، والمراد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونه مكارم، ويدعونه معالي ومفاخر.

قال تعالى {أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ}[2]

قال قتادة: أيظن أن الله لم يره ولم يسأله عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه .

قال الكلبي: كان كاذباً لم ينفق شيئاً، فقال الله تعالى: أيظن أن الله تعالى ما رآى ذلك منه، فعل أو لم يفعل، أنفق أو لم ينفق، بل رآه وعلم منه خلاف ما قال.

واعلم أنه تعالى أقرّ بأنه القادر بقوله : {أيحسب أن لن يقدر عليه أحد}[3].

وبذلك يكون قد أقام الدلالة على كمال قدرته.

---

١ سورة الجن الآية ١٩

٢) سورة البلد الآية ٧.

٣)سورة البلدالآية ٧

لطيفة : (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) ؟. هي نابعة من إنكار نعم المنعم تبارك وتعالى : (كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى) [1].

إن هذا الإنسان المخلوق الذي لا يخلص من عناء الكدح والكد، لماذا ينسى حقيقة حاله, وينخدع بما يعطيه خالقه من أطراف القوة والقدرة والوجدان والمتاع، فيتصرف تصرف الذي لا يحسب أنه مأخوذ بعمله، ولا يتوقع أن يقدر عليه قادر فيحاسبه .

فإذا به يطغى ويبطش ويسلب وينهب ويسرق ويحتال ويكفر ويعربد ويزني ويقتل، ويجمع ويكثر، ويفسق ويفجر ، دون أن ينحرج . وهذه هي صفة الإنسان الذي يعرى قلبه من الإيمان .

ثم إنه إذا دُعي للخير والبذل يقول : أهلكت مالاً لبدا.. أنفقت شيئاً كثيراً فحسبي ما أنفقت وما بذلت ! وينسى أن الله يرى، يرى ما أنفق، ولماذا أنفق ؟ وأن عمله محيط به .

ولكن هذا الإنسان كأنما ينسى هذه الحقيقة، ويحسب أنه في خفاء عن عين الله!

الآية {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}[2]

قال أهل العربية : النّجد الطريق في ارتفاع فكأنه لما وضحت الدلائل جعلت كالطريق المرتفعة العالية بسبب أنها واضحة للعقول كوضوح الطريق

---

١)سورة العلق الآية ٦ .

٢) سورة البلد الآية١٠ .

العالي للأبصار، وإلى هذا التأويل ذهب عامة المفسرين في النجدين وهو أنهما سبيلا الخير والشر(١).

وعن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: إنما هما النّجدان، نجد الخير ونجد الشر، ولا يكون نجد الشر، أحب إلى أحدكم من نجد الخير وهذه الآية كالآيات {فجعلناه سَمِيعاً بَصِيراً * إِنَّا هديناه السبيل إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً}(٢).

وقال الحسن : {أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَداً} فمن الذي يحاسبني عليه؟ فقيل: الذي قدر على أن يخلق لك هذه الأعضاء قادر على محاسبته(٣).

لطيفة : إن من قدر على أن يخلق الناس من الماء المهين قلباً عقولاً ولساناً فصيحا، فهو على إهلاك ما خلق قادر، وبما يخفيه المخلوق عالم وعن التكبر والعزة على الله وعلى أنصار دينه بالمال وهو المعطي له، وهو الممكن من الانتفاع به.

ثم إنه سبحانه وتعالى دل عباده على الوجوه الفاضلة التي تنفق فيها الأموال، وعرف هذا الكافر أن إنفاقه كان فاسداً وغير مفيد.

أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي

١) مفاتيح الغيب ،التفسير الكبير ، لفخر الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠١هـ ، ج٣١ ص٥

٢) سورة الإنسان الآية ١-٣

٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٠ص٤٥

يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧)﴾.

الآية {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ}[١]

قال ابن كثير في تفسيره : روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي الربيع الدمشقي، عن مكحول قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى: يا ابن آدم، قد أنعمت عليك نعماً عظاما لا تحصى عددها ولا تطيق شكرها، وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما، وجعلت لهما غطاءً، فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك، وإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما. وجعلت لك لسانا، وجعلت له غلافا، فانطق بما أمرتك وأحللتُ لك، فإن عَرَض لك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك. وجعلت لك فرجا، وجعلت لك سترا، فأصب بفرجك ما أحللت لك، فإن عَرَض لك ما حرمت عليك فَأَرْخِ عليك سترك. يا ابن آدم، إنك لا تحمل سخطي، ولا تطيق انتقامي[٢] .

وقوله: {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ} أي: يبصر بهما، {وَلِسَانًا} أي: ينطق به، فَيُعبر عما في ضميره، {وَشَفَتَيْنِ} يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام، وجمالا لوجهه وفمه.[٣]

---

١) سورة البلد الآية ٨.

٢) رواه ابن عساكر عن مكحول مرسلاً (وهو ضعيف) حديث رقم ١٠٨٣ من كتاب جامع الأحاديث القدسية ،عصام الصبابطي ط دار الريان للطبع والنشر ج١ص٦٢ .

٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، مكتبة التراث الإسلامي ، سوريا حلب ، ١٤٠٠هـ، ٤ /٥٦٨.

لطيفة : أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ[1] .

" تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ " البكاء ليس هطول الدمع ولكن البكاء فيضان الدموع، وهذه القناة الدمعية لو أنها سُدَّتْ لأصبحت حياتُنا لا تُطاق فلا بدَّ من مسح هذا الدمع كل دقيقة لئلا يحفر الدمع طريقاً في الجلد فيلتهب الجلد لأن الدمع مادة قلويَّةٌ مُذيبة فلو أن إنساناً دخلت في عينه حبة رمل لذابت بعد ساعات، من خلق هذه المادة التي تذيب هذه الحبَّات وتذيب كل شيء، حتَّى أن هناك بعض المواد أكثر صلابة من الرمل وتذيبها هذه المادة وتسهّل حركة الأجفان .

لطيفة : {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ}[2] .

لولا النور لما عملت العين, ولكي تعمل العين جيدا لا بدَّ لها من أربعة أشياء حتَّى تبصر وإلا لا ترى، لا بدَّ من شدَّة ضوء، فبدون الضوء لا ترى العين، ولا بدّ من طول الجسم الكافي فهناك حجم إذا قلَّ لم تبصره العين، ولا بدَّ من وقتٍ كافٍ يبقى فيه الخيال في الشبكية، ولا بدّ من طول موجةٍ بحدٍّ أدنى حتَّى ترى العين، ولذلك نحن لا نرى الأشعَّة فوق الحمراء ولا تحت الحمراء ولا فوق البنفسجية، فإذا وضعتَ مرآة داخل وعاء فيه ماء صاف ووضعت الوعاءَ في الشمس فإنه يرى سبعة ألوان في الحائط، فموضوع الألوان موضوع حيَّر العلماء، فما اللون الأبيض؟ هو ضوء سُلِّط على شيء فعكسَه كله، فما دام أن هذا الشيء عكس الضوء كلّه فهو أبيض، وما هو اللون الأسود؟ شيء امتصَّ الضوء كلَّه، ومادام أنه امتصَّ

---

١) سورة البلد الآية ٨.

٢) سورة البلدالآية ٨.

الضوء كلَّه فهو أسود، وإذا امتص بعضه وردَّ بعضه فهو رمادي، وإذا امتصه كلَّه عدا الأزرق فهو الشيء الأزرق والشيء الغريب أنك تقول إن هذا الشيء أخضر، وليس هو الأخضر، إنه امتصَّ الألوان كلَّها إلا الأخضر فلا لون بلا ضوء، قال تعالى :{ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ}[1].

فلولا ضوء الشمس فما قيمة هذه العين؟! ولولا العين فما قيمة ضوء الشمس

اللسان أيضاً من آيات الله الدالة

من عجائب العين :

بعدما حَدَّثنا عن هذا الإنسان الغافل الذي يحْسَبُ أنْ لن يقْدر عليه أحد يظُنُّ أنَّهُ لا حِساب ولا مسْؤولِيَّة ولا جزاءَ، وأنَّ القَوِيَّ يأكل حقَّ الضعيف وقُضِيَ الأمر، وأنَّ الضعيف يُؤْكَلُ حقُّه! هذا الذي يحْسَبُ أنَّهُ لن يقْدِرَ عليه أحدُ، يُنْكرُ الله سبحانه وتعالى:

﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً *أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾[2]

أيْ أنَّ الله تعالى رقيبٌ على كُلِّ إنسانٍ وهو لِكُلِّ إنْسانٍ بِالمِرْصاد، فَيَرى كيف كَسَبَ المال؟ وكيف أنْفَقَهُ؟ ومن أين جمعهُ؟ وكيف آتاهَ عِباد الله؟

"لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ, وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ, وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ, وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ" (1)

---

١) سورة البلدالآية٨.

٢) سورة البلدالآيتين ٦-٧

{أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠)}

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ يبصر بهما المرئيات {وَلِسَاناً} يترجم به عن ضمائره {وَشَفَتَيْنِ} يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ وغير ذلك {وهديناه النجدين} أي: طريقي الخير والشر . وقيل : الثديين .

فوائد وفرائد : {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ}[٢]

والاقتصار على العينين لأنهما أنفع المشاعر ولأن المعلل إنكار ظنه أن لم يره أحد[٣].

وذكرالإمام الطبري: القول في تأويل قوله تعالى : {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ }يقول تعالى ذكره: ألم نجعل لهذا القائل أَهْلَكْتُ مَالا لُبَدًا عينين يبصر بهما حجج الله عليه، ولسانا يعبر به عن نفسه ما أراد، وشفتين، نعمة منا بذلك عليه[٤].

الآية:{وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ} [٥] .

==

1) الحديث أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ، كتاب البعث ، باب ما جاء في الحساب ح رقم (١٨٣٧٣)

٢)سورة البلد الآية ٨.

٣) التحرير والتنوير – سورة البلد ج٣١ ص٣٥٤

٤)جامع البيان في تأويل القرآن ، سورة البلد ج١٢ص٥٩

٥) سورة البلد الآية ٩

وَلِسَاناً يترجم به عن ضميره. {وَشَفَتَيْنِ} يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب وغيرها.[1] والنفخ وغير ذلك والمفرد شفة وأصلها شفهة حذفت منها الهاء ويدل عليه شفيهة وشفاه وشافهت وهي مما لا يجوز جمعه بالألف والتاء وإن كان فيه تاء التأنيث على ما في البحر[2].

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ[3]

الآية {وهديناه النجدين} أي: طريقي الخير والشر. وقيل: الثديين[4].

١) تفسير البيضاوي بهامشه القرآن الكريم: المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، سورة البلد ص١١٠٨ .

٢) روح المعاني ،الالوسي تفسير سورة البلد الآية٩ ،ج١٥ص٣٥٢

٣) سورة البلد الآية١٠ .

٤) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري، ج٦ ص٣٧٧ .

المطلب الثاني

أعمال البر والخير تنجي الإنسان من الشدائد والأهوال

الآية {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ} [1] .

{فَلاَ اقتحم العقبة} أي: فلم يشكر تلك الأيادي والنعم بالأعمال الصالحة: من فك الرقاب وإطعام اليتامى والمساكين، ثم بالإيمان الذي هو أصل كل طاعة، وأساس كل خير؛ بل غمط النعم وكفر بالمنعم. والمعنى: أن الإنفاق على هذا الوجه هو الإنفاق المرضي النافع عند الله، لا أن يهلك مالاً لبداً في الرياء والفخار، فيكون مثله {كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ} [2]الآية.

فإن قلت: قلما تقع (لا) الداخلة على الماضي إلاّ مكرره، ونحو قوله: فَأَيُّ أَمْرٍ سَيِّئٍ لاَ فَعَلَه**

لا يكاد يقع، فما لها لم تكرر في الكلام الأفصح؟ قلت: هي متكرّرة في المعنى؛ لأن معنى {فَلاَ اقتحم العقبة (١١)} فلا فكّ رقبة، ولا أطعم مسكيناً. ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك. وقال الزجاج قوله: (ثم كان من الذين أمنوا) يدل على معنى: {فَلاَ اقتحم العقبة}[3] ، ولا آمن . والاقتحام : الدخول والمجاوزة بشدّة ومشقة. والقحمة: الشدة، وجعل

---

١) سورة البلد الآية ١١ .

٢) سورة آل عمران الآية: ١١٧

٣)سورة البلد الآية ١١ .

الصالحة: عقبة، وعملها: اقتحاماً لها، لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس .

وعن الحسن: عقبة والله شديدة. مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدّوه الشيطان. وفكّ الرقبة: تخليصها من رق أو غيره. وفي الحديث: أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: دلني على عمل يدخلني الجنة. فقال: «تعتق النسمة وتفك الرقبة» قال: أو ليسا سواء؟ قال: «لا، إعتاقها أن تنفرد بعتقها. وفكها: أن تعين في تخليصها. من قود أو غرم» والعتق والصدقة: من أفاضل الأعمال.

وعن أبي حنيفة رضي الله عنه: أن العتق أفضل من الصدقة. وعند صاحبيه: الصدقة أفضل والآية أدل على قول أبي حنيفة لتقديم العتق الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة: أيضعه في ذي قرابة، أو يعتق رقبة؟ قال: الرقبة أفضل، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضواً منه من النار» قرئ: {فك رقبة أو إطعام} على: هي فك رقبة، أو إطعام. وقرئ: {فك رقبة} أو أطعم، على الإبدال من اقتحم العقبة.

لطيفة : {وَمآ أَدْرَاكَ مَا العقبة} اعتراض

ومعناه : أنك لم تدرِ كُنْهَ صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله. والمسغبة، والمقربة، والمتربة: مفعلات من سغب : إذا جاع . وقرب في النسب، يقال : فلان ذو قرابتي . وذو مقربتي . وترب : إذا افتقر، ومعناه . التصق بالتراب . وأما أترب فاستغنى، أي: صار ذا مال كالتراب في الكثرة، كما قيل: أثري .

وقوله: {ذَا مَتْرَبَةٍ} الذي مأواه المزابل، ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم: هم ناصب : ذو نصب .

وقرأ الحسن : {ذا مسغبة} نصبه بإطعام . ومعناه : أو إطعام في يوم من الأيام ذا مسغبة(١).

من أوجه القراءات :

قرئ: {فَكُّ رَقَبَةٍ} بالإضافة، وقُرئ على أنه فعل، وفيه ضمير الفاعل والرقبة مفعوله وكلتا القراءتين معناهما متقارب.

قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن إبراهيم، حدثنا عبد الله- يعني ابن سعيد بن أبي هند- عن إسماعيل بن أبي حكيم- مولى آل الزبير - عن سعيد بن مرجانة : أنه سمع أبا هُرَيرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرْب منها إربا منه من النار، حتى إنه ليعتق باليد اليد، وبالرجل الرجل، وبالفرج الفرج». فقال علي بن الحسين: أنتَ سَمعتَ هذا من أبي هُرَيرة؟ فقال سعيد: نعم. فقال علي بن الحسين لغلام له- أَفْرَهَ غلمانه-: ادعُ مطْرَفًا . فلما قام بين يديه قال: اذهب فأنت حُر لوجه الله . رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي، من طرق، عن سعيد بن مرجانة(٢).

---

١)تفسير الكشاف الزمخشري ج٤ص٧٤٥ .

٢) وعند مسلم أن هذا الغلام الذي أعتقه علي بن الحسين زين العابدين كان قد أعطي فيه عشرة آلاف درهم . قال قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن مَعدانَ بن أبي طلحة، عن أبي نَجِيح قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أيما مسلم أعتقَ ==

حديث آخر: قال أبو داود: حدثنا عيسى بن محمد الرملي، حدثنا ضَمْرة، عن ابن أبي عَبلَة، عن الغريف بن الديلمي قال: أتينا واثلة بن الأسقع فقلنا له: حدثنا حَديثا ليس فيه زيادة ولا نقصان. فغضب وقال: إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته، فيزيد وينقص. قلنا: إنما أردنا حديثًا سمعتَه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب- يعني النار- بالقتل، فقال: أعتقوا عنه يُعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار(١).

وكذا رواه النسائي من حديث إبراهيم بن أبي عَبلة، عن الغَريف بن عياش الديلمي، عن واثلة، به.

وحدثنا عبد الوهاب الخفاف، عن سعيد، عن قتادة قال: ذُكِر أن قيسا الجذامي حَدّث عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار"(٢)

تفرد به أحمد من هذا الوجه.

==

رَجُلا مسلما، فإن الله جاعلٌ وفاء كل عظم من عظامه عظمًا من عظام محرره من النار، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة، فإن الله جاعل وفاء كل عظم من عظامها عظما من عظامها من النار.«

رواه ابن جرير هكذا وأبو نجيح هذا هو عمرو بن عَبسَةَ السلمي، رضي الله عنه.

١) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري حديث رقم ٢٥١٧ ج٩ص٣١١

٢) صحيح مسلم – كتاب العتق – باب فضل العتق–حديث رقم ١٥٠٩ج١٠ ص١١٧

وقوله: {أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ} قال ابن عباس: ذي مجاعة.

وكذا قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وغير واحد. والسَّغَب: هو الجوع.

وقال إبراهيم النَّخَعِي: في يومٍ الطعامُ فيه عزيزٌ.

وقال قتادة: في يوم يُشتهى فيه الطعام.

وقوله: {يَتِيمًا} أي: أطعم في مثل هذا اليوم يتيما، {ذَا مَقْرَبَةٍ} أي: ذا قرابة منه. قاله ابن عباس، وعكرمة، والحسن، والضحاك، والسدي.

كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد:حدثنا يزيد، أخبرنا هشام، عن حفصة بنت سيرين، عن سليمان بن عامر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان، صدقة وصلة"(١).

وقوله: {أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ} أي: فقيرا مُدقعًا لاصقا بالتراب، وهو الدقعاء أيضا.

قال ابن عباس: {ذَا مَتْرَبَةٍ} هو المطروح في الطريق الذي لا بيت له، ولا شيء يقيه من التراب- وفي رواية: هو الذي لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة، ليس له شيء- وفي رواية عنه: هو البعيد التربة.

١) رواه الطبراني في الكبير ١٠١/٥ وقال فيه: عبد الله بن زخر وهو ضعيف أ.هـ

قال ابن أبي حاتم: يعني الغريب عن وطنه.

وقال عكرمة: هو الفقير المديون المحتاج.

وقال سعيد بن جبير: هو الذي لا أحد له.

وقال ابن عباس، وسعيد، وقتادة، ومقاتل بن حيان: هو ذو العيال.وكل هذه قريبة المعنى[1] .

لطائف بلاغية

[لا + فعل ماض]

قال تعالى : {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ } [2]

لا : نافية غير عاملة ؛ لا تفيد الدعاء (لأنها دخلت على ماض) وذهب الزجاج : أبو إسحاق ، إبراهيم بن محمد (ت/٣١١هـ) إلى : أن (لا) هنا وان لم تكرر مع ماض مثله لفظا إلا أنها تكررت معنى في قوله تعالى : {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ }[3] والتقدير: فلا اقتحم العقبة ولا آمن وهي نافية غير عاملة، بمعنى : (لم) والتقدير: لم يقتحم العقبة، أو بمعنى (ما) والتقدير : بمعنى : ما اقتحم العقبة.

لطيفة : لغوية بلاغية :

---

١) تفسير ابن كثير تفسير سورة الشمس ج٤ ص٤٤٧ .

٢) سورة البلد الآية ١١

٣) سورة البلد الآية ١٧

إن القرآن حجة في الفصاحة ، فلا حاجة للتقدير في النص القرآني ؛ للتوفيق بينه وبين القاعدة الإعرابية المشهورة ، التي تنص على : (لا : النافية غير العاملة إن دخلت على ماض ، يجب تكرارها مع ماض مثله منفي بـ : ما ، أو : لا) .

وعليه تبنى القاعدة وفق النص القرآني ، وعلى النحو الآتي : [لا +ماض] قد تأتي مكررة ، نحو قوله تعالى : فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ، وقد تأتي من دون تكرار ، نحو : فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ

اختلف أهل البلاغة . هل هي مكررة أم هي مقدرة . ومنهم من حمل النص ما لا يحتمل .

إن (لا) لم تكرر مع ماض مثله لفظا , لا أنها تكررت معنى, والحق : أنَّ النص تام المعنى ، وليس بحاجة إلى تقدير من جهة ، ومن جهة أخرى : إن الأصل (عدم التقدير) على حد قول الأصوليين واللغويين والنحاة . والتقدير تحميل للنص ما لم يتحمل.

فقولهم : لا : نافية غير عاملة ؛ لا تفيد الدعاء (لأنها دخلت على ماض) وذهب الزجاج : أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد (ت/٣١١هـ) إلى : أن (لا) هنا وان لم تكرر مع ماض مثله لفظا إلا أنها تكررت معنى في قوله تعالى: { ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ }[1] والتقدير : فلا اقتحم العقبة ولا آمن وهي نافية غير عاملة ، بمعنى : (لم) والتقدير : لم يقتحم العقبة، أو بمعنى (ما) والتقدير : بمعنى : ما اقتحم العقبة .

١)سورة البلد الآية١٧.

ومما يؤيد ذلك : تصريح المالقي : إن دخول (لا) النافية غير العاملة على الماضي قليل وهي أحيانا تكرر وأحيانا لا تكرر، وقد تكلم في ذلك العلامة الزركشي بإسهاب [1].

١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ، دار المعرفة بيروت ، ط١ ،١٤١٠هـ ، ج٤ص٣٠٠ ،٣٠٩

المطلب الثالث

الجزاء من جنس العمل

قال تعالى :{ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (٢٠)}[١]

لطيفة : {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) }

جاء بثم لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة، لا في الوقت؛ لأن الإيمان هو السابق المقدّم على غيره، ولا يثبت عمل صالح إلاّ به.

وقوله: {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا} أي: ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمنٌ بقلبه، محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل. كما قال تعالى : {وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا}[٢] وقال تعالى : {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ}[٣] .

---

١)سورة البلد الآيات ١٧-٢٠

٢)سورة الإسراء الآية١٩.

٣)سورةالنحل الآية٩٧.

وقوله: {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ} أي: كان من المؤمنين العاملين صالحا، المتواصين بالصبر على أذى الناس، وعلى الرحمة بهم. كما جاء في الحديث: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» وفي الحديث الآخر: «لا يَرْحَم اللهُ من لا يَرْحَم الناس».

وقال أبو داود: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا سفيان، عن ابن أبي نَجِيح، عن ابن عامر عن عبد الله بن عَمْرو- يرويه- قال: (من لم يَرْحم صغيرنا ويَعْرِف حَقَّ كبيرنا، فليس منا) [1].

وقوله: {أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ} أي: المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين.

ثم قال: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ} أي: أصحاب الشمال، {عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ} أي: مطبقة عليهم، فلا محيد لهم عنها، ولا خروج لهم منها.

قال أبو هريرة، وابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، ومحمد بن كعب القرظي، وعطية العوفي، والحسن، وقتادة، والسدي: {مُؤْصَدَةٌ} أي: مطبقة- قال ابن عباس: مغلقة الأبواب.

وقال مجاهد: أصد الباب بلغة قريش : أي أغلقه.

وسيأتي في ذلك حديث في سورة: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}.

---

١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم (٤/ ٢٦١)

وقال الضحاك: {مُؤْصَدَةٌ} حيط لا باب له.

وقال قتادة: {مُؤْصَدَةٌ} مطبقة فلا ضوء فيها ولا فُرَج، ولا خروج منها آخر الأبد.

وقال أبو عمران الجوني: إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يَخاف الناس في الدنيا شره، فأوثقوا في الحديد، ثم أمر بهم إلى جهنم، ثم أوصدوها عليهم، أي: أطبقوها- قال: فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدا، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبدا، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبدا،. ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبدا [1].

ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة, أولئك أصحاب الميمنة, والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة, عليهم نار مؤصدة.

وكان من الذين آمنوا يعني : أنه لا يقتحم العقبة من فك رقبة، أو أطعم في يوم ذا مسغبة وتواصوا بالصبر والمرحمة .

وإن قبول الطاعات مشروط بالإيمان بالله[2] .

---

١) تفسير القرآن العظيم سورة البلد ج٨ص٤٠٩ .

٢) صحيحِ مسلمٍ من حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ أن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ: «وأما الكافرُ فيُطْعَمُ بحسناتِ ما عَمِلَ بها للهِ في الدُّنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرةِ لم يكن له حسنةٌ يُجزى بها»، وفي لفظٍ عند أحمدَ «فإذا لقيَ اللهَ عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ لم تكن له حسنةٌ يُعطى بها خيرًا.«ومما يدلُّ على ذلكَ ما رواهُ أحمدُ والحاكمُ وغيرُهما ==

فالإيمان بالله بعد الإنفاق لا ينفع ، بل يجب أن تكون الطاعة مصحوبة بالإيمان، قال الله تعالى في المنافقين, وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله[1] .

منزلتهم عن اليمين

والذين كفروا بآياتنا أي كفروا بالقرآن هم أصحاب المشأمة أي يأخذون كتبهم بشمائلهم قاله محمد بن كعب . يحيى بن سلام :لأنهم مشائيم على أنفسهم .

قال ابن زيد : لأنهم أخذوا من شق آدم الأيسر . ميمون : لأن منزلتهم عن اليسار .

قلت : ويجمع هذه الأقوال أن يقال : إن أصحاب الميمنة أصحاب الجنة ، وأصحاب المشأمة أصحاب النار قال الله تعالى : {وأصحاب اليمين ما

==

واللَّفظُ لأحمد كلُّهم من حديثِ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها أنها قالت: يا رسولَ اللهِ إنَّ عبدَ اللهِ بنَ جُدعانَ كان في الجاهليةِ يقري الضيفَ ويفُكُّ العَانيَ ويَصِلُ الرَّحمَ ويُحسنُ الجوارَ فأثنَتْ عليه فهل ينفعُهُ ذلكَ؟ قالَ رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم: "لا، إنَّه لم يقُلْ يومًا قطُّ اللهم اغفِرْ لي يومَ الدينِ»، ولفظُ الحاكمِ: «لا، إنَّهُ لم يقُلْ يومًا قطُّ ربِّ اغفِرْ لي خطيئتي يومَ الدينِ".ومعناهُ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ جُدعانَ وهو من عشيرةِ أبي بكرٍ الصديقِ رضيَ اللهُ عنه كان يَقرِي الضيفَ ويُغيثُ الملهوفينَ ويَصِلُ الرحمَ حتى إنهُ كان يعمَلُ الطعامَ ويضَعُهُ أمامَ بيتِه على جِفانٍ عاليةٍ في الشارعِ حتى يأكلَ منه المسافرونَ من دونِ أن ينزِلوا، هذا كلُّه لا ينفعُهُ لأنهُ كان يعبدُ الأوثانَ ولا يؤمنُ بالآخرةُ.

١) سورة التوبة الآية ٥٤ .

أصحاب اليمين في سدر مخضود} ، وقال : {وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم }. وما كان مثله [١].

ومعنى مؤصدة أي مطبقة مغلقة .

تحن إلى أجبال مكة ناقتي ومن دونها أبواب صنعاء مؤصدة[٢].

وقيل : مبهمة ، لا يدرى ما داخلها . وأهل اللغة يقولون : أوصدت الباب وآصدته أي أغلقته . فمن قال أوصدت ، فالاسم الوصاد ، ومن قال آصدته ، فالاسم الإصاد . وقرأ أبو عمرو وحفص وحمزة ويعقوب والشيزري عن الكسائي مؤصدة بالهمز هنا ، وفي (الهمزة) . الباقون بلا همز . وهما لغتان . وعن أبي بكر بن عياش قال : لنا إمام يهمز مؤصدة فأشتهي أن أسد أذني إذا سمعته[٣].

بيان جمالية القرآن في هذه السورة الكريمة:

تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البديع والبيان نوجزها فيما يلي :

١- زيادة {لا} لتأكيد الكلام وهو مستفيض في كلام العرب ، وفائدتها تأكيد القسم.

---

١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، سورة البلد جـ٢٣ص٣٠٦ .

٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ، دار الفكر بيروت ط١ ١٤١٤هـ ، ج٨ص٥٢٦ .

٣) الدر المصون ج٦ص٥٢٧،٥٢٦

٢- جناس الإشتقاق {ووالداً وما ولد}فكل من الوالد والولد مشتق من الولادة .

٣- الإستفهام الإنكاري للتوبيخ{أيحسب أن لن يقدر عليه أحد} ومثله {أيحسب أن لم يره أحد}

٤- الإستفهام للتهويل والتعظيم{وما أدراك ما العقبة} لأن الغرض تعظيم شأنها .

٥- الإستعارة اللطيفة {وهديناه النجدين} أي طريق الخير والشر، وأصل النجد الطريق المرتفع، أستعير كل منهما لسلوك طريق السعادة وسلوك طريق الشقاوة .

٦- الإستعارة التبعية في قوله {فلا اقتحم العقبة } لأن أصل العقبة الطريق الوعر في الجبل ، واستعيرت هنا للأعمال الصالحة ، لأنها تصعب وتشق على النفوس.

٧- الجناس الناقص بين {مقربة} و {متربة} لتغير بعض الحروف .

٨- المقابلة اللطيفة بين {أولئك اصحاب الميمنة} وبين {أولئك أصحاب المشأمة} .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين .. وبعد،،

فبعد هذه المعايشة الطيبة لهذه السورة المباركة اتضح لنا كثير من النتائج أهمها ما يلي :

١- بينت السورة الكريمة كيف أن الله أوجد الإنسان وخلقه في هذه الحياة مكابداً ومكافحاً لا كسولاً ولا خاملاً ، رقيق القلب مبسوط اليد ، يعطي الفقير ويطعم المسكين ويعطف على اليتيم ، وذلك خلق المسلم لا خلق الكافر الذي ينفق ماله بطراً ورئاء الناس ليصد عن سبيل الله متباهياً ومفتخراً بذلك .

٢- كما تغرس هذه السورة الكريمة في قلب المؤمن المراقبة لله تعالى وأنه يراه ويتطلع عليه ، فالينظر المرء في حال نفسه فهي خير شاهداً على نعمة الله وأفضاله عليه وإكرامه إياه .

٣- في هذه السورة الكريمة دعوة إلى مجموعة من المبادئ والفضائل الإيمانية والإنسانية الرفيعة التي ذكرتها من إطعام المسكين والفقير القريب وفك الأسير الغريب وأن ذلك كله حين يفعل لوجه الله يكون سبب الفوز يوم القيامة .

٤- تحث هذه السورة على التواصي بالصبر لأنه عماد المؤمن في هذه الحياة حتى يصل ويحط رحاله في دار القرار ثم التواصي بالمرحمة بين الناس جميعاً .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١. أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن ، د/عبد الله شحاته ط الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٩٨م

٢. البرهان في علوم القرآن للزركشي ، دار المعرفة بيروت ، ط١ ،١٤١٠هـ

٣. التحرير والتنوير ابن عاشور ط : الدار التونسية للنشر – تونس: ١٩٨٤ هـ

٤. الجامع لأحكام القرأن لمحمد القرطبي – دار عالم الكتب ١٤٢٣هـ.

٥. الدر المصون في تفسير الكتاب المكنون للسمين الحلبي ط دار الكتب العلمية بيروت ط٣ ١٤٢٠هـ.

٦. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ، دار الفكر بيروت ط١ ١٤١٤هـ

٧. تفسير البغوي معالم التنزيل – دار ابن حزم ١٤٢٣هـ

٨. تفسير الجلالين – دار الحديث الطبعة الأولى

٩. تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، مكتبة التراث الإسلامي ، سوريا حلب ، ١٤٠٠هـ

١٠. تفسير الكشاف للزمخشري – دار الكتاب العربي الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ.

١١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن من التفاسير تفسير الطبري محمد بن جرير الطبري الناشر :مؤسسة الرسالة د.ت

١٢. روح المعاني في تفسير القرأن العظيم للآلوسي–دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٥هـ

١٣. سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي – دار ابن كثير الطبعة الأولى.

١٤. صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج – دار الكتب العلمية .

١٥. صفوة التفاسير ،د محمد علي الصابوني ، ط دار الصابوني ، القاهرة ، ط٩ د.ت

١٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب– دار ابن الجوزي طبعة ١٤١٧هـ

١٧. مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لأبن خالويه مكتبة المتنبي القاهرة ، بدون

الفهرس

م	الموضوع
١	المقدمة
٢	التمهيد
٣	المطلب الأول إبتلاء الإنسان بالسراء والضراء
٤	المطلب الثاني أعمال البر والخير تنجي الإنسان من الشدائد والأهوال
٥	المطلب الثالث الجزاء من جنس العمل.
٦	الخاتمة وتشمل أهم النتائج
٧	المصادر والمراجع
٨	الملخص العربي
٩	الملخص الإنجليزي
١٠	الفهرس